# اللّغة العربيّة

مجلّة فصليّة مُحكّمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلميّة للّغة العربيّة

السّابع والأربعون 2019

ر.د.م.م
1112.3575
EISSN
6545-2600

الإيداع القانوني
02 20/ 7

# اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ


**المدير المسؤول**
**أ.د. صالح بلعيد**
**رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة**

**رئيس التحرير**
**أ.د. عبد الله العشي**

**نائب رئيس التحرير**
**د. حياة أم السّعد**

**مديرة التحرير**
**أ. نورة مراح**

**المدقّق اللغويّ**

**أ. حسن بهلول**

# اللّجنة العلميّة للتّحرير


أ.د. عبد الله العشّي

أ.د. حياة أم السّعد

أ.د. أحمد عزوز

أ.د. عبد القادر فيدوح

أ.د. آمنة بلعلى

أ.د. مسعود صحراوي

أ.د. محمد كعوان

أ.د. الطيّب دبّة

د. الجوهر مودر

د. انشراح سعدي

د. شراف شنّاف

د. صحرة دحمان

## شروط النّشر:

- ✓ تنشر المجلّة المقالات الرّصينة، ذات العلاقة بقضايا اللّغة العربيّة ومجالاتها؛
- ✓ تُكتب المقالات باللّغة العربيّة، وتلحق بملخّصين أحدهما باللّغة العربيّة وآخرهما باللّغة الإنگليزيّة ؛
- ✓ تخضع المقالات للمنهجيّة العلميّة الأكاديميّة، وتهمّش آليا في آخر المقالة؛
- ✓ تخضع المقالات للتّحكيم العلميّ؛
- ✓ يلتزم صاحب المقالة بالتّعديل في الآجال المحدّدة، إن طُلِبَ منه ذلك؛
- ✓ تُكتب المقالة بخط Simplified Arabic ببنط 14 في المتن و12 في الهوامش، وترسل على البريد الإلكتروني للمجلّة الموضّح أدناه؛
- ✓ يكون حجم المقالة بين 3000 و5000 كلمة؛
- ✓ ألاّ تكون المقالة قد نشرت من قبل، ولا مستلّة من مذكّرة أو أطروحة جامعيّة؛
- ✓ يتسلّم صاحب المقالة ثلاث (03) نسخ من العدد الذّي نشرت فيه مقالته؛
- ✓ تُرفق المقالة بسيرة علميّة موجزة عن الباحث؛
- ✓ لا تعبّر المقالات المنشورة بالضّرورة عن رأي المجلس الأعلى للّغة العربيّة.


**للاتّصال**

madjaletalarabia@gmail.com

ASJP.cerist.dz

**الهاتف:** 00213 21 23 07 16 – **النّاسوخ:** 00213 21 23 07 17

**المراسلة:** مجلّة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، شارع فرنكلين روزفلت الجزائر ص.ب. 575 ديدوش مراد – الجزائر

# محتويات العدد


| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| **كلمة رئيس التّحرير**<br>أ.د. عبد الله العشي | 9- 12 |
| **المحور الأوّل: دراسات تراثيّة** | |
| **البعد الإنساني في فكر مالك بن نبي**<br>الأستاذ عثمان بيدي | 15- 38 |
| **الصريح والمستلزم عند الأحناف**<br>**مقاربّة تداوليّة**<br>أ. جدي الطيب<br>إشراف أ.د: محمد السعيد بن سعد | 39- 52 |
| **جهود الجغرافيين العرب في صناعة الأطالس اللّسانيّة.**<br>أ. عقيلة أرزقي | 53- 74 |
| **مفهوم ''اللغة الوسيطة'' في التّراث اللغوي العربي**<br>**مقاربة الجاحظ أنموذجاً**<br>د. مبارك بلالـي | 75- 94 |
| **المحور الثّاني: دراسات لغويّة معاصرة** | |
| الأبعاد التّأويليّة لحجاج السخريّة في الخطابات الشّعريّة<br>قراءة حجاجيّة لقصيدة " أقزام طوال " لأحمد مطر<br>أ . د . عاشور سرقمة<br>أ . محمد الصالح بن حمده | 97- 120 |

| | |
|---|---|
| **الأخطاء اللّغويّة الشّائعة: تغيُّرٌ لغويّ أم لحنٌ؟**<br>د. ياسين بوراس | **121- 140** |
| **(التّماسك والتّناسق النّصي في جهود عبد القاهر الجرجاني)**<br>أ. لوت زينب | **141- 154** |
| **قَامُوسُ اللِّسَانِيَّاتِ لِعَبْدِ السَّلَامِ الْمَسَدِّيِّ رُؤْيَة تَحْلِيلِيّة اسْتِقْرَائِيّة.**<br>أ.عبد الرّحيم البار | **155- 180** |
| **المحور الثّالثّ: دراسات تعليميّة** | |
| **أخطاء الصحافة الجزائريّة في ممارسة اللغة العربيّة وفي التّعامل معها التّشخيص والعلاج**<br>د.علي حلواجي | **183- 212** |
| **الانعكاسيّة Washback والتّقـويـم المفهوم والتّأثيرات والأبعاد**<br>د/سعيد بكير | **213- 236** |
| **الجملة النّظاميّة والجملة النّصيّة دراسة وصفيّة تحليليّة**<br>تجاني حبشي | **237- 266** |
| **جوانب اللّسانيات التّداوليّة الحديثة وعلاقتها بالبلاغة العربيّة**<br>أ. فتـحي بوقفطان | **267- 284** |
| **المحور الرّابع: دراسات أدبيّة ونقديّة** | |
| **التّشخيـص الأدبي للغة في الرّوايّة / " البيت الأندلسي " لواسيني الأعرج أنموذجا**<br>287. قوادري عمر | **287- 306** |

| | |
|---|---|
| اللغة الرّوائيّة في ضوء الدّراسات النّقديّة المعاصرة<br>أ. سليم بتقة<br>أ. زهر اليوم هطال | 307- 320 |
| تيسير النّحو العربي ( نقدٌ ورؤيّة )<br>أ. عبد الوهاب حجازي | 321- 332 |
| حفرياتٌ أوّليّة في ذاكرة مصطلح السّيرة<br>د. نبيل حويلي | 333- 354 |
| المحور الخامس: ثقافيات | |
| الفهرس الوصفي لمؤلّفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه المخطوطة والمطبوعة والمفقودة<br>-دراسة وصفيّة إحصائيّة-<br>أ. فؤاد بن أحمد عطاء الله | 357- 384 |
| البعد الثّقافي والدّيني لدول المغرب العربي، ودوره في تعزيز الوحدة المغاربيّة والصّمود أمام التّحديات الإقليميّة والدّوليّة<br>أ. خليدة البشاري | 385- 398 |
| نشأة الخطّ العربيّ، بين التّوقيف والاصطلاح<br>د. سمير ربوزي | 399- 432 |
| نظام الشّخصيات في رواية "التّبر" لإبراهيم الكوني _ مقاربة سميائيّة_.<br>أ. قناوي عبد الحق<br>أ. زويش نبيلة | 433- 462 |

# كلمة العدد
# في العامية والفصحى

أ.د. عبد الله العشي
رئيس التحرير

أقرأ أحيانا في الكتابات العلمية والإعلامية ، وأسمع في الندوات والملتقيات أحاديث تدعو إلى ترقية العاميات حتى تصبح على غير ما هي عليه، ولتصير قريبة من اللغة الفصحى، هذا التفكير يثير عددا من التساؤلات يمكن الإشارة هنا إلى بعضها فقط لأن سردها جميعا أمر لا يمكن هنا، فمن ضمن هذه التساؤلات أن هذا التفكير يضمر مقدمات ليست بالضرورة صحيحة؛ فثمة، أولا حكم ضمني يدعي أن العامية، مهما كانت هذه العامية، هي طريقة في التخاطب قاصرة وتحتاج إلى ترميم وترقية، وأن ترميمها لا يتم إلا بتقريبها من الفصحى، والحقيقة أن اللهجة كيان قائم بذاته ومستقل بكينونته ، لها وظيفتها ولها بنيتها ولها مجالاتها كما أن لها مستعمليها الدائمين والرسميين، ولها نظامها الداخلي وتخضع لإكراهات ذاتية وموضوعية خاصة غير تلك التي تخضع لها اللغة الفصحى، وبالتالي فهي لا تقيم من خلال علاقتها باللغة الفصحي بل تقيم من خلال قدرتها على أداء وظيفتها في التواصل الاجتماعي، وأعتقد أن كل محاولة لتفصيح العاميات هي محاولة ضد حركية المجتمع الذي هو أصل العامية ومحركها والمتحكم في سيرورتها.

صاحبت العاميات اللغة العربية الفصيحة عبر تاريخها، كما صاحبت العاميات اللغات الفصيحة أيضا عبر تواريخها، ولم يكن ذلك عبئا على اللغة لسبب أساسي، وهو أن العامية لم تكن بديلا ولا منافسا ولا عدوا، بل طريقة أخرى في التواصل بين البشر في سياقات خاصة لا تتطلب جهدا أكبر ولا مؤسسة ولا تعليما ولا معلمين، بل تنمو مع الإنسان كما تنمو سائر أعضائه

بشكل طبيعي وتلقائي، وسواءا كانت العامية "لغة" أصيلة ومستقلة أم كانت وليدة الفصحى، فهي في الحالين، قد صارت بهويتها الخاصة حتى أصبح لها نظامها النحوي والصرفي والبلاغي وصار لها تراثها الشعري والسردي والفكري والفلسفي، ولها مجالاتها التداولية الخاصة، صارت مؤسسة قائمة بذاتها، في مقابل الفصحى التي لها أيضا أنظمتها اللسانية والبيانية ولها خزانها الفكري والفني والعلمي. هذه هي العامية كما كانت وكما ينبغي أن تكون لكن المشكلة التي تستحق النظر هنا، في رأيي ، هي أن الواقع الآن، أن العامية لم تعد مقصورة على مجالها المجتمعي الخاص، بل تعدت إلى مجالات أخرى كانت حكرا على الفصحى وخدها، وهنا يصبح النظر إلى العامية من منظور آخر، وتعاد أشكلتها من موقف مختلف غير الذي سردناه قبل حين؛ إن مؤسسات مثل المؤسسات التعليمة والعلمية والإعلامية والقضائية وغيرها من المؤسسات " النخبوية" يفترض أنها من ممتلكات السلطة اللغوية الفصيحة، كما أن فضاءات الساحات والشوارع والأسواق وميادين الرياضة والترفيه والمناسبات الاجتماعية والحياة العامة من ممتلكات العاميات، وسيصبح من النشاز الداعي إلى السخرية أن تتبادل الفصحى والعامية مواقعهما، فتصبح الفصحى في الشارع والسوق والعامية في مدرجات الجامعة أو نشرات الأخبار، ولكن الأمر قد يتجاوز النشاز إلى ما هو أخطر من التبادل إلى الاستيلاء والاغتصاب، حين تحاول العامية أن تكون بديلا للفصحى وتهجرها من موقعها وتنفيها من " أرضها" ولأنها غالبا ما تعجز، بحكم طبيعة وظيفتها الاجتماعية التي لا تؤهلها للتعبير عن المفاهيم والمجردات والمصطلحات وما على ذلك من مستعملات اللغة النخبوية الخاصة فإنها حينئذ تسعى إلى " الاستقواء بالأجنبي" لإعانتها في استكمال نقصها و"لنفي" الفصحى من موطنها الأصلي، تماما كما يستعين المتآمر والخائن بالأجنبي على وطنه ، هنا مكمن الخطر، فكما أن هناك خيانات وطنية على مستوى الأفراد فهناك، بالمقابل تماما، خيانات على مستوى اللغات، وهنا لن تكون القضية قضية لغوية أو قضية علاقة بين وسيلتي تعبير وتواصل، بل هي قضية

فكرية وثقافية وما يتبع ذلك، الأصل في العلاقة بين اللغة والعامية أن تكون علاقة حسن جوار أخلاقي وتوافق أخوي وتعاون أحيانا ، واستثمار مشترك في " المناطق الحدودية"، ولكل منهما وظيفته ومجاله الاستعمالي ، وكان الأمر كذلك مع العربية في علاقتها بالعاميات التي توالدت عبر تاريخ اللغة العربية مشرفا ومغربا.

أعود من حيث بدأت لأقول إن الأمر لا يتعلق بترقية العاميات لتصل إلى المستوى مشارف اللغة الفصيحة، لان العامية تتطور بمنطقها الداخلي وأعتقد أن المحاولات التي سارت في هذه الطريق لم تصل إلى شيء، العامية تكتسب شرعيتها وتستمد حياتها من علاقتها بالتحولات الاجتماعية، بل الأمر يتعلق بأن للفصحى حرمة ينبغي تقديرها وسيادة يجب احترامها، وحدودا يمنع استباحتها. قبل ربع قرن، مثلا، لم نكن نسمع في الإذاعات والتليفزيون حديثا بالعامية إلا فيما ندر ولا نسمع للعامية لا صوتا ولا همسا في الجامعات وقاعات الدرس والمؤتمرات والمرافعات حتى صارت تلك القلاع الحصينة اليوم مرتعا للعاميات، هكذا تتم العملية: احتلال المجال، ثم اختلال اللغة، ثم احتلال الفكر ثم احتلال الانسان، بعدها يصبح كل شيء قابلا للاحتلال. العامية الآن لم تعد في الحقيقة عامية اعني تلك العامية الممتلئة بالحكمة والقيمة والمعنى تلك التي نسمعها في القصص الشعبي والشعر والمرويات الخاصة وحكايات الشيوخ والعجائز والتحيات والتهاني وفي جلسات الصلح والزواج والمآتم. العامية الآن كيان ممسوخ لا هوية له، لا طعم ولا رائحة ولا لون، والنتيجة الحتمية لدخول هذه العامية إلى المؤسسات الرسمية والخاصة بالفصحى هي تتفيه العقل وترذيل الفكر وتمسيخ الشخصية وتغييب المعنى وتجهيل الإنسان وتفريغ كل شيء من دلالته.

# اللُّغَةُ العَرَبِيَّة

مجلّة فصليّة مُحكّمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلميّة للّغة العربيّة

العدد السابع والأربعون 2019

47

العدد 47
2019

المجلس الأعلى للّغة العربيّة - الجزائر

اللُّغَةُ العَرَبِيَّة

Revue Académique Trimestrielle Indexée

منصّات الاعتماد

WWW.ASJP.CERIST.DZ
WWW.HCLA.DZ

المجلس الأعلى للّغة العربيّة
العنوان : 52،شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575 ، ديدوش مراد، الجزائر
الهاتف : 16/17 07 23 21 213+ التّاسوخ : 07 07 23 21 213+
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 21 العدد: 47 السّنة: الثّلاثيّ الرّابع 2019 ص: 333 - 354

# حفريات أوّليّة في ذاكرة مصطلح السّيرة

د. نبيل حويلي[1]

تاريخ الإرسال : 05- 03- 2019 تاريخ القبول: 03- 04- 2019

**الملخّص:** إنّ السّيرة فنٌّ أدبيٌّ بامتياز ينتمي إلى الفنون السّرديّة على مستوى الشّكل والبناء، وهو مصدر غني من المعرفة التّي تتعلّق بتجربة الإنسان وما تتضمّنه من أسرار وصراع طويل مع الحياة فهو بذلك نقل مباشر لأحداث الماضي. ويمكن تصنيف مصطلح السّيرة في خانتي الخيال والواقع على حد سواء كونه تزاوج متعادل بين حقائق تاريخيّة والقوى المتخيّلة البارعة في الحذف والبناء والإثبات. وقد كثرت التّعريفات وتفرّع مصطلح "السّيرة" إلى معانٍ متباينة، فقيل مثلا: "إنّ السّيرة فن ترجمة الحياة لشخصٍ ما"، وسنسعى في عملنا هذا التّفرقة بين مستويات مصطلح "السّيرة" وذلك بالعودة إلى ثلاثة تفرّعات نراها تؤسّس لهذا المصطلح وهي على التّوالي: السّيرة النبويّة والسّيرة الشّعبيّة والسّيرة الذّاتيّة.

**الكلمات المفتاحيّة:** مصطلح السّيرة، السّيرة النبويّة، السّيرة الشّعبيّة، السّيرة الذّاتيّة التّاريخ، الحياة، التّجربة الإنسانيّة.

[1] جامعة الجزائر- 2- أبو القاسم سعد الله، الجزائر، البريد الالكتروني: nabil.haouili@gmail.com

## PRELIMINARY FOSSILS IN THE MEMORY OF THE TERM BIOGRAPHY

**ABSTRACT:** The biography is the ultimate literary art belongs to the narrative arts at the level of form and construction, it is a rich source of knowledge that relates to human experience, its secrets and a long struggle with life. It is a direct transfer of events of the past. The term "biography" can be categorized in both fiction and reality as a mere mating between historical facts and imagined powers of deception, construction, and proof.

The definitions have abounded and the term "biography" have grown to different meanings, it was said, for example: " The Biography is the art of translating life to someone", and we will seek in our work to distinguish between the levels of the term "biography" by returning to three branches we see establishing for this term, and is respectively: the Prophet's biography, popular biography and autobiography.

**Key words:**Prophet's biography, popular biography, autobiography, history, life, human experience.

**توطئة:** أنتجت سائر الأمم نتاجات فكريّة عبّرت عن تُراثها وحاضرها الذي جُسّد في أشكال نثريّة والأخرى شعريّة بلغة ذات مستوى فنّيّ مؤثّر في النّفس الإنسانيّة مفعمة بضروب من الخيال والعاطفة الجياشة والصّور الفنّيّة الرّائعة ولعلّ السّيرة من أهم الوثائق البارزة التّي دوّنها الإنسان في نفسه أو غيره بوسائل فنّيّة بلاغيّة نثريّة ونظميّة ووصفيّة وسرديّة.

ويمكن تصنيف مصطلح السّيرة في خانتي الخيال والواقع على حد سواء كونه تزاوج متعادل بين حقائق تاريخيّة وقوى متخيّلة بارعة في الحذف والبناء والإثبات. وقد كثرت التّعريفات وتفرّع مصطلح "السّيرة" إلى معانٍ متباينة: السّيرة النبويّة والتّي تتعلّق بتاريخ الرّسول ﷺ العسكري والغزوات التّي قام بها لنشر دعوته السّمحة، والسّيرة الشّعبيّة التّي تتحدّث عن أبطال مجّدهم التّاريخ بأوصاف عادة ما تكون خارقة كما تتناول حروبهم وقتالهم، وأخيرا السّيرة الذّاتيّة التّي تتمثّل في نصّ طويل يتناول حياة أحد الأعلام والمشاهير بنوع من التّفصيل والتّدقيق. وفي البدء وقبل الوقوف عند مستويات مصطلح السّيرة وما تحمله من إشكاليّة اصطلاحيّة، لا بدّ من تعريف لفظة "السّيرة" تعريفا لغويا معتمدين في ذلك على مجموعة من المعاجم.

**التّعريف اللّغوي:** إنّ المتصفّح لكلمة السّيرة في معجم "لسان العرب" "لابن منظور" يجد أنّها وُردت في أنحاء كثيرة منه، ولعلّ أوّل الإشارات هذا البيت الشّعري للشاعر "الخالد بن زهير":

**فلا تَجزعنَّ من سنة أنت سرتَها فأوّل راضٍ سنة من يسيرها** [1]

والمُراد في هذا البيت الشّعري أنّه لا داعي للغضب من تلك السّنة أو الطّريقة فأنت من جعلها سائرة بين النّاس.

ومن المعاني التّي يدلّ عليها تعلّق هذه المادة بحروف الجرّ: سَايَرَهُ: سار معه.

وتساير عنه الشّيءُ: سار وزال، يُقال: فلانٌ لا تساير خياله إذا كان كذابا.

ويُقال: سرْ عنكَ أي تغافل واحتملْ.

ومن أسماء المفعول: دابٌ مسيّرةٌ، إذا كان الرّجلُ راكبها أو سائرا لها، والماشيّة مُسارةٌ، والقومُ مسيّرون، وطريقٌ مسورٌ فيه، ورجلٌ مسورٌ به.

وأمّا دلالات بعض المصادر اللازمة الآنفة: فالمسيرة تستعمل مصدرا بمعنى السّيرة كالمعيشة والمَعجزة ويستعمل أيضا بمعنى المسافة التّي يُسار فيها من الأرض كالمنزلة والمتهَمة، ومنه قول الرّسول ﷺ : "نُصرتُ بالرّعبِ مسيرةَ شهرٍ" وكذلك قيل عن السّيرة بأنّها هي الحالة التّي يكون عليها الإنسان وغيره، كما يُقال: قرأت سيرة فلان أي تاريخ حياته. [2] ويعرّفها "ابن منظور" قائلا: "السّيرُ: الذّهابُ، وسارَ يسيرُ سيرا ومسيرةً وسيرورةً ... والتّسيارُ: تفعالٌ من السّير ... وسيَّرَهُ من بلده أي أخرجه وأجلاه ... وسيّرتُ الجُل عن ظهر الدّابة: نزعته عنه ... وفي مقام آخر نجد حديث حذيفة تساير عنه الغضب أي سار وزال، والسّيرة: الضّربُ من السّيرِ والسّيرةُ السّنةُ والطّريقةُ ويُقال: سارَ بهم سيرةً حسنةً، والسّيرةُ الهيئة، وجاء في القرآن المجيد: "قَالَ خُذْهَا ولاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُوْلَى" (سورة طه، الآيّة: 21) وسيّرَ سيرةً: حدث أحاديث الأوائل". [3] ونخلص من هذا التّعريف الذي قدّمه "ابن منظور" أنّ السّيرة هي السّنة أو الطريقة أو الحالة التّي يكون عليها الشّيء وأورد الآيّة الكريمة في صيغة الهيئة.

وبالعودة إلى تعريف "ابن منظور" نجد أنّ هنالك اشتقاقا يجيز صياغة فعل من المصدر –السّيرة- وهو سيّرَ: ويُقصد به من يحدّث بأحاديث الأوّلين فهو أكثر الجذور اللّغويّة التّي تُضارع مصطلح السّيرة إنتاجا ورؤيّة مع غلبة الجانب الحكائي على المكتوب منه، وبالتّالي أخذ مفهومها يعمّ، فأصبحت تعني السّير جمع السّيرة وهي الطريقة سواء أكانت خيرا أم شرّا، لذا قيل فلانٌ محمودُ السّيرة وفلانٌ مذمومُ السّيرة. [4]

ومن التّعريفات الرّائجة أيضا لمصطلح "السّيرة" ما جاء به "الزّمخشري" بقوله: "إنَّ السّيرةَ من السّيرِ كالرّكبة من الرّكوب، يُقال سار فلانٌ سيرةً حسنةً ثمّ اتّسع فيه فنقلت إلى معنى المذهب والطّريقة" [5]. وننتهي من هذا التّعريف إلى أنّ السّيرةَ عند "الزمخشري" يدور معناها حول المذهب والطريقة وهيئة فلان من

حيث مكارمه وعيوبه، ولكنّه تعريف ضيّقٌ بالمقارنة بما جاء به "ابن منظور" في "لسان العرب".

ونجد في مقام آخر إنّه عند "الفيروز أبادي" في معجمه "القاموس المحيط" يشير إلى مصطلح السّيرة قائلا: "السّيرُ هو الذّهابُ كالمسير والتّسيار والمسيرة والسّيرورة والسّيرة: الضّربُ من السّير والسّيرة بالكسر: السّنة والطّريقة والهيئة". ويتّفق هذا التّعريف مع التّعريف السّالف في أنّ السّيرة هي السّنة أو الطّريقة أو النهج أو الهيئة ...

**أمّا اصطلاحا:** فقد كثرت التّعريفات وتفرّع مصطلح "السّيرة" إلى معانٍ متباينة، فقيل مثلا: "إنّ السّيرة فن ترجمة الحياة لشخصٍ ما"، وسنسعى في عملنا هذا التّفرقة بين مستويات مصطلح "السّيرة" وذلك بالعودة إلى ثلاثة تفرّعات نراها تؤسّس لهذا المصطلح وهي على التّوالي: السّيرة النبويّة والسّيرة الشّعبيّة والسّيرة الذّاتيّة:

**السّيرة النبويّة:** وأوّل الأشكال **"السّيرة النبويّة"** ويكاد يجمع الدّارسون للسّيرة على أنّ انطلاقتها كانت من روايّة الحديث، وكانت تعني في البدايّة تاريخ الرّسول ﷺ العسكري والغزوات التّي قام بها لنشر دعوته وأطلق بعد ذلك هذا المصطلح على حياة الرّسول ﷺ بصورة عامة ليشمل سيرة غيره من الرّجال ... وتُفيد المصادر أنّ أوّل استعمال لهذه اللّفظة في اللّغة العربيّة في غير سيرة الرّسول ﷺ كانت "سيرة معاويّة" و"سيرة بني أميّة"، وبعدهما ظهرت "سيرة أحمد بن طولون" وسواها ... ومن جهة أخرى أفادت الكثير من الدّراسات أنّ لفظة "السّيرة" إنّما دخيلة على اللّغة العربيّة وبالتّحديد جاءت من اللّغة الآراميّة، ولم يكن الاصطلاح جرى على استعمالها إلاّ في القرن السّابع عشر للميلاد على يدّ "ياقوت الحموي".

وشغلت سيرة الرّسول ﷺ الكثير من المؤرّخين المسلمين، وأوّل من اهتمّ بها كان فريق من التّابعين، إذ كانت تُعقد مجالسّ خاصة تتحدّث فيها عن مغازي

الرّسول ﷺ يسألون العلماء والحفاظ من أبائهم أو ممّن سمع منهم عنهم، وقاموا بجمع الحقائق والأحداث الصّحيحة لا يدخل عليها تشويه أو افتراء، كما وقع اختيارهم أيضا في محاولة تفسير بعض الآيات التّي أشارت إلى وقائع غزوات النبي ﷺ وأيضا إلى رصد أقواله وأفعاله حتّى شملت سيرته وحياته. [6]

ولم تخص الدّراسة السّيرة النبويّة مؤرخي الإسلام فقط، بل تعدّت إلى المستشرقين الذين جعلوا من هذه السّيرة ميدانا لعديد من الدّراسات التّي تأصّلت واشتهرت وتُرجمت إلى اللّغة العربيّة، ومن هذه الدّراسات ما كتبه كلٌّ من "كارليل" و"مارجو ليوث" و"سبرنجر" بالاشتراك مع كلّ من "نولدك" و"فنسك" عن الرّسول ﷺ واليهود وموقفه منهم [7]، وليس من الغريب البتة أن نجد علماءً غير مسلمين وغير عرب يدوّنون عن الرّسول ﷺ كون شخصيته شخصيّة عالميّة مميّزة حملت رسالة سمحاء لم يخص بها الله عزّ وجلّ العرب بل سائر الأقوام والأجناس وفي كلّ حدبٍ وصوبٍ من حدود المعمورة، ولعلّ من أروع ما قيل عن الرّسول ﷺ الأبيات الآتيّة:

**محمّدٌ سيّدٌ طابتْ مناقبُهُ  محمّدٌ صاغَهُ الرّحمانُ بالنّعمِ**
**محمّدٌ صفوةُ الباري وخيرتُهُ  محمّدٌ طاهرٌ من سائرِ التّهمِ**
**محمّدٌ يوم بعث النّاسِ شافعنا  محمّدٌ نورُ الهادي من الظّلمِ** [8]

ويرى "إحسان عباس" في شأن سيرة الرّسول ﷺ أنّها قد كُتبت في ظلّ مجموعة من المؤثّرات، ويقول في ذلك: "نفردُ منها بالتّمييز عاملين كبيرين هما: الأوّل أنّ سيرةَ الرّسول ﷺ جزءٌ من السّنة، فهي والحديث مصدران هامان من مصادر التّشريع ومنهما تستفاء الأحكام ... والثاني: أنّ المسلمين كانوا قد ورثوا نظرة الجاهليّة للتاريخ وهي نظرة قائمة على الأيّام وطبيعة الحرب وشؤون القتال" [9]، ويمكن لنا أن نخلص من هاذين العاملين وأثرهما في سيرة الرّسول ﷺ

إلى الخصائص المتراوحة في السّيرة العربيّة وهو ما ذكره نفسه "إحسان عباس" حينما أشار إلى ذلك قائلا: "فلا غراب إذا رأينا السّيرة على يدّ موسى بن عقبة وابن شهاب وغيرهما، ثمّ على يدّ ابن إسحاق وريث كتاب المغازي الأوّلين تسجيلا دقيقا للمعارك الحربيّة وما دار فيها من فنون" [10]. ومن ثمة كانت الانطلاقة الصّحيحة للسّيرة على يدّ إسحاق والذي اتّبعه الكثير من الكتّاب والأدباء ممّن جاؤوا بعده.

**السّيرة الشّعبيّة:** وعن مصطلح **السّيرة الشّعبيّة** فهي شكل أدبي عادة ما يصنّف في خانة أشكال التّعبير في الأدب الشّعبي، وقد عرف الأدب العربي هذا الجنس قبل الإسلام، وتواردت الكثير من السّير عبر الالسّنة، نحو سيرة "سيف ذي بن يزن" و"عنترة بن شداد"... وكانت تتحدّث عن حروبهم وقتالهم، وأطلقوا على هذه الأخبار أيّاما نحو "يوم حليمة" الذي أصبح مثالا فيما بعد و"يوم دار مأسل" و"يوم عين أباغ" و"يوم ذي قار" و"يوم خزار" و"يوم طخفة" و"يوم ظهر الدهناء" و"يوم الكلام الأوّل" ... وهناك من تسمّى بأسماء، الأمر الذي أحدث اشتعال الحرب والنيران مثل حرب البسوس وحرب داحس وغبراء، ومن حرم هذه الأحداث ظهرت شخوص حقيقيّة مطعّمة بشخوص خارقة من نسج الخيال،... [11]

ومن التّعريفات الرّائجة في مصطلح السّيرة الشّعبيّة ما جاء به "فاروق خورشيد" الذي قدّم تعريفا مطوّلا لهذا المصطلح قائلا: "إنّ السّيرة الشّعبيّة عبارة عن تاريخ من حيث تناولها لحياة الفرد، لها أهميّة كموجة للأحداث في عصره أو جماعة لعبت في تاريخ الشّعب أو الإنسانيّة دورا ذا أثر بالغ الأهميّة ... وهي من حيث كونها انطباعات مؤلّفها تتلوّن بثقافته ووضعه الاجتماعي وموقفه من الحياة، أي إنّها ليست عملا علميّا تاريخيّا يعتمد على الوثائق الثابتة القيّمة المحقّقة للوجود، ثمّ ينهج إلى مناقشتها ومقابلتها ببعضها البعض لاستخلاص الحقائق المجرّدة التّي لا تهمّ من النّاس إلا أصحاب العلم ودراسة العاملين بل هي قد لا تغني على الإطلاق بهذا التّمحيص أو المناقشة، وقد

تختار أضعف الأقوال بما يتّفق دون غيره مع موقف المؤلّف ووجهة نظره، وهذا يؤكّد ذاتيّة السّيرة كعمل، وليست الذّاتيّة من العلم في شيء إنّما هي إلى الأدب أقرب". [12] يفيد هذا الاستشهاد للباحث الفولكلوري "فاروق خورشيد" أنّ السّيرة جنس أدبيٌّ يعتمد بالدّرجة الأولى على الوثائق البارزة وبالتّالي فهو جنس أدبي مكتمل له تاريخه الحافل عبر الأزمنة وينصرف من التّجسيم والتّشخيص صوب التّعظيم والتّصويب.

ولكن ومن جهة أخرى نجد أنّ السّيرة الشّعبيّة ترتبط أكثر بمواقف التّراث العربي الإسلامي وذلك حينما أيّد الله عزّ ذكره نبيّه بمعجزة كاملة دائمة مؤثرة في عصرها وبعد عصرها وفي بيئتها وفي غيرها، وإن ذلك أيضا في الأمّة التّي بعث فيها الرّسول ﷺ أو في كلّ الأمم الأخرى. وبدأ النّاس يدخلون أفواجا إلى الدّين الجديد بما في ذلك الأعاجم من فرس وبربر وروم ومصريين... فأخذوا يدوّنون عن الأبطال الذين نشروا هذا الدّين الجديد عبر أصقاع وبقاع العالم.

ولعلّ من أبرز تلك السّير: "سيرة سيف ذي بن يزن" و"سيرة الزير سالم" و"سيرة الظاهر بيبرس" ... ومن أمثلة السّير المتداولة أيضا نجد "سيرة الأميرة ذات الهمّة" هذه السّيرة المحكّمة البناء، تتميّز بتحديد عصر معيّن لأحداثها وهو بدايّة حكم "عبد الملك بن مروان" خليفة الدولة الأمويّة، وهذا عنصرٌ مهمٌ من عناصر السّيرة التّي تبيّن لنا شكلا أو جانبا من جوانب الحياة السّياسيّة في عصر روايّة تلك السّيرة. كما تتميّز بغلبة الطّابع الأخلاقي على السّيرة من أوّلها إلى آخرها، فالبطل الذي ينتصر هو بطلٌ متديّنٌ يتّصف بصفات القوّة الجسديّة والفروسيّة ولديه ذكاء وفطنة ودهاء، كما لديه شجاعة في اتّخاذ المواقف المناسبة... [13] وعادةً ما تبتدئ السّيرة الشّعبيّة بمقدّمة معبّرة في قالب أدبيٍّ جميل جدا، ومن أمثلة ذلك ما وُرد في مقدّمة **"سيرة الأميرة ذات الهمّة"** إذ كتب الرّواة قائلين:

"الحمد لله الذي جعل سيرة الأوّلين عبرة الآخرين، وأحاديث الماضين اعتبارا للقوم الباقين، الذي فضل دين الإسلام على كل دين لأنّه حبل الله المتين فقال تعالى وهو أصدق القائلين: "هو اجتباكم... سماكم المسلمين"، وقوله: "إنّ الدّين عند الله الإسلام"، وقوله أيضا: "ومن يبغ غير الإسلام... الخاسرين". أمّا بعد:

فقد ذكرت الرّواة لهذه السّيرة العجيبة، وما فيها من الأحاديث الغريبة، لما رأينا الجهاد حبل الله المتين، ومنزلة المجاهدين عند الله في أعلى عليين، فأحببت أن أجمع سيرة تكون نزهة السّامعين، لما فيها من الانتفاع لكلّ المطالعين، وأنا أسأل الله الإعانة على ترتيب هذا الكلام العظيم، إنّه هو السّميع العليم.

فأوّل ما نذكره حديث الحارث وولده جندبة، وبعدهما حديث الأمير الصحصاح زائر قبر النبي ﷺ زين الملاح سيدنا محمّد ﷺ ما أظلم الدجى وأضاح الصباح، نذكر له ما جرى في الحرب والكفاح، وما يظهر منه من الأولاد الملاح وما يبدو منهم من الأفعال الصحاح، وما نقلته عنهم الرّواة الفصاح وما شهدوا منهم من الحرب والطعن في المساء والصباح، وما تمّ لهم من الجهاد في طاعة رب العباد الملك الفتاح من الخير والصلاح". [14] ويتّضح أنّه ومن خلال النموذج المقدّم لهذه السّيرة الشّعبيّة ملامح أساسيّة لميلاد البطل، فهو يولد لوالدين مرموقين أو على الأقل لهما شأن بين أوساط قبيلتهما، وخاصة والده الذي غالبا ما يكون زعيما أو ملكا، وتلعب النبوءة دورها قبل ولادته وتطلع الأم أو الأب على الدور الخطير الذي سيلعبه الولد في مستقبل أمّته، وهو الأمر الذي يجعل والده يُبعده عن أعين الناس خوفا منهم بأن يغدروا به ويقتلوه ويتربّى خارج مملكة أبيه وبعيدا عن حنان أمّه.

وترى الباحثة الجزائريّة "ليلى روزلين قريش" أنّ السّيرة الشّعبيّة هي نوعٌ أدبيٌّ يتعيّن من الإمكانيات الشّكليّة المتحقّقة، عبر مسار تاريخ الثقافة العربيّة الإسلاميّة في نصوص يمكن أن تندرج ضمن أنواع فرعيّة، ويرتبط مصطلح

السّيرة عندها بحياة شخصيّة بارزة أو قبيلة ما تعرف بأعمالها الخارقة ورحلاتها المستعصيّة وعن الفروسيّة والشّجاعة والبسالة ومحاربة الشّرّ والمكر والخداع كما تّعبّر عن واقعة من الوقائع والذكاء والفطنة وعن الحرب والقتال. [15]

**نموذج "سيرة بني هلال"**: تتحدّث هذه السّيرة عن نزوح بني هلال من شبه الجزيرة العربيّة، وهم البدو المشهرون منذ غابر الزّمان في أرجاء الجزيرة، ثمّ أثناء تغريبتهم* الطّويلة وأخيرا استقرارهم النهائي ببلاد المغرب الكبير عامة وبالجزائر خاصة. وكيف استطاعوا أن يبقوا على قيد الحياة بفضل إرادتهم القويّة وشجاعتهم النادرة في مجابهة العدو والسّعي نحو البقاء على قيد الحياة والدّفاع عن كيانهم. وكان دفاعهم يتحقّق حسب إستراتيجيّة نادرة وماهرة إلى حدٍّ بعيدٍ والتّي كانت تتغيّر حسب نوعيّة القتال سواء عن طريق المبارزة أم الاصطدام العام بين جيوشهم القبليّة والجيوش المعاديّة لهم، ومشاركة نسائهم في القتال وكلّ هذه الصنوف إنّما تبرز العبقريّة الحربيّة الهلاليّة والتّي عملت على انتصارهم الدّائم، وكان ذلك بالتّركيز على شجاعتهم القويّة ومهارتهم الحربيّة وعصبيتهم القبيلة [16]، ولعلّ من أبرز شخوصها الرّئيسيّة البطل والفارس الشّجاع "ذياب" صاحب الدهاء والفطنة والذكاء و"الجازيّة" عاشقته الجميلة والأميرة الأنيقة التّي تمتاز بدورها بالذّكاء والفطنة والأنوثة الطّاغيّة.

**الرّوايّة السّير ذاتيّة**:تنتشر كتب السّيرة الذّاتيّة حول العالم وتنال القدر الأكبر من عنايّة القرّاء والمهتمين، حيث تؤكد الإحصاءات أنّ كتب السّيرة الذاتيّة للمشاهير هي الأكثر الرّوايات مبيعة، ويمكن لنا أن نعرّف السّيرة كجنس أدبي، ونقول: إنّها ذلك النّصّ الطويل الذي يتناول حياة أحد الأعلام والمشاهير بنوع من التّفصيل والتّدقيق، في حين تكون التّرجمة نصا فقيرا تضمّ إشارات مختصرة عن حياة شخص ما. إنّ الطرح الأوّل يقترب من مفهوم السّيرة عند الأوروبيين منذ القرن السّابع عشر حيث دلّت كلمة biographie على الحياة وقصّة حياة واحد، فتكون نصا سرديا طويلا مفردا. [17] ويغلب على السّيرة

الذاتيّة السّرد، وغالبا ما يكون منتظما في فضاء مكاني محدّد، يهتمّ فيه الكاتب بتقديم حياة إحدى الشّخصيات المعروفة في مجال استراتيجي علمي أو أدبي أو فكري أو ثقافي لديها مؤهلات خارقة، وتكون هذه السّيرة الذّاتيّة بمثابة تجربة تستحقّ أن تكون مثالا يقتدي به المتلقي ويتأثّر بمحتواها ولاسيما إذا كان يتمتّع بقدرات تعبيريّة وبلاغيّة فيها الكثير من الإقناع.[18] ويكون هذا الجنس الأدبي بذلك مستقلّا عن سواه من الأجناس الأدبيّة.

وعرفت الإرهاصات الأولى للسّيرة الذّاتيّة في الأدب العربي القديم مع العصر الإسلامي، إذ وصلت إلينا أوّل قطعة أدبيّة "لسليمان الفارسي"، تحدّث فيها عن حياته ودوّنها "الخطيب البغدادي" في كتابه "تاريخ بغداد"، وتُعتبر هذه القطعة أوّل بذرة للسّيرة الذّاتيّة في القرن الأوّل للهجرة. كما دوّن "أبو الفرج الأصفهاني" مجموعة من أجزاء سير ذاتيّة في كتابه "الأغاني"، مثل تلك التّي تتعلّق بسيرة الشّاعر الأموي "نصيب بن رياح" وسيرة "إبراهيم الموصلي"... وبعدها وُجدت أجزاء سير ذاتيّة أخرى مثل تلك التّي أوردها "موفّق الدّين أبو العباس أحمد القاسم بن خليفة الخزرجي" في كتابه: "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ووردت فيه سيرتا "ابن إسحاق" و"ابن الهيثم"...

ومن ثمّ نجد الكثير من الرّسائل التّي تشتمل على مجموعة من السّير الذّاتيّة:

- رسالة "محمّد بن زكريا" وفيما كتبه عن سيرته وسلوكه النّفسي.
- رسالة "الصّداقة والصّديق"، "لأبي حيان التّوحيدي".
- رسالة "فتنة الكبد إلى نصيحة الولد"، "لابن جوزي".

أمّا عن الكتب فهي على التّوالي:

- كتاب "طوق الحمامة في الألفة والآلاف"، "لابن حزم الأندلسي".
- كتاب "المنقذ من الضلال" "للإمام الغزالي"، ويرتبط بالقضايا الرّوحيّة.
- وصولا إلى "سيرة ابن خلدون" في عصر انحطاط الأدب العربي.[19]

أمّـا في الأدب العربـي الحـديث فـيمكن الإشـارة إلى بعـض الأعمـال والتّـي كانت بدايتها:

- "تشحيذ الأذهـان بسـيرة بـلاد العـرب والسّـودان"، وفي مقدّمـة هـذا الكتـاب سيرة المؤلّف.

- "تخليص الإبريز" "لرفاعة الطهطاوي"، وفيه سرد رحلته إلى فرنسا.

- "الأيّام" "لطه حسين"، وفي رأي الكثير من المختصّين يعدّ هذا الكتاب أوّل كتاب في السّيرة الذّاتيّة الحديثة.

- وبعد ذلك جاء كتاب "حياتي" "لأحمد أمين" الذي نهج على خُطى كتاب "الأيّام" لطه حسين.

- ولا ننسى "محمود العقّاد" في سيرته الذّاتيّة، ونراه فيها يختلف عن سابقيه اختلافا جوهريا، إذ يعتمد على أسلوب تحليليٍّ تفسيريٍّ.[20]

ويتراوح مفهوم السّيرة الذّاتيّة (autobiographie) في النّقد الغربي في كونها شكلا من الأشكال الكتابيّة البارزة المرتبطة بالأنا وأكثر صلة بالسّرد الذّاتي، وعلى الكاتب حينما يؤلّف لسيرته الذّاتيّة أن يلتزم بالصّدق وهو الأمر الذي يقرّبه أكثر لقارئيه، ولكن رغم ذلك فإنّ الكثير ممن ألّفوا لسيرهم لم يلحقوها بصدق كامل، وهو الأمر الذي تنبّه إليه "إحسان عباس" حينما كتب يقول: "الصّدق الخالص أمرٌ يلحق بالمستحيل، والحقيقة الذّاتيّة صدقٌ نسبيٌّ، مهما يخلص صاحبها في نقلها على حالها".[21] ومن هؤلاء الغربيين الذين عرّفوا السّيرة الذاتيّة "فليب لوجان" (Philippe Le jeune) على أنّها قصّة ارتداديّة نثريّة، يقوم شخص واقعي بقصّ حياته الخاصة، ويوضع مجموعة من الرّكائز تقوم عليها السّيرة وتتمثّل في:

1. أنّ شكل الكلام لا يخرج عن كونه قصّة نثريّة.

2. أنّ الموضوع المطروق هو عرض لحياة الفرد وتاريخه الشّخصي.

3. يجب أن يكون هناك تطابقٌ واضحٌ بين المؤلّف والرّاوي أو السّارد.

4. تطابق السّارد والشّخصيّة الرّئيسيّة باعتماد النص الارتدادي اللاّحق.[22]

تتداخل السّيرة الذّاتيّة مع مجموعة من العناصر في سرد الأحداث المعروضة في نص السّيرة حيث تصير عبارة عن تاريخ الحياة ووصف ذاتي كثيف من حيث العواطف والمشاعر، مليئا بالأحداث الخاصة والعامة كذلك، وهنا يلعب الاستذكار دورا مهما في استرجاع الماضي العاطفي والأحداث إلى الحاضر أو زمن كتابة السّيرة الذّاتيّة، مع أنّ ذاكرة الأحداث أوسع وأعمق من دائرة المشاعر والعواطف ولكن عندما يتوقّف السّرد ليعلن العودة إلى الوراء ونعني هنا الماضي بهدف عرض مجموعة من الجوانب التّي تسهم في إضاءة النص، تتحقّق في الوقت نفسه أهدافا فنّيّة كالتّشويق والانسجام والإيهام بالحقيقة. [23]

وتتشكّل السّيرة الذّاتيّة من أجناس يمكن أن نطلق عليها بأجزاء أدبيّة أو مكوّنات خطابيّة تتفرّع منها ولقد لخّصها الباحث "عصام عسل" [24] على هذا النّحو:

**أدب التّرجمة الذاتيّة:** وهو تاريخ موجز لحياة الفرد أو شخصيّة من الشّخصيات يقدّم نفسه للنّاس ويعرّف بشخصه من أجل هدف معيّنٍ.

**أدب الذكريات:** يقوم هذا الجنس الأدبي الصّغير على استرجاع الذّاكرة للمواقف والأحداث المثيرة في حياة الكاتب بطريقة تلقائيّة لا يخضع فيها لترتيب زمني معيّن.

**أدب الاعتراف:** يكشف صاحب الاعترافات في هذا الشّكل الأدبي الصّغير على فضح أسراره للآخرين كما يقدّم تفاصيل خبرته وتجاربه في الحياة من كلّ جوانبها سواءٌ كانت سلبيّة أم إيجابيّة. ويمكن لنا أن نمثّل هنا بأعمال الرّئيس الجزائري الرّاحل "الشّاذلي بن جديد" [25] عن مشوار حياته السّيّاسيّة.

**أدب اليوميات:** يقوم الكاتب في هذا الشّكل التّعبيري بعرض الأحداث اليوميّة بحسب أهميتها وعلاقتها به وتتميّز بالآنيّة والمباشرة والدّقة، فهي ليست من الماضي البعيد أو المستقبل القادم. ولا بأس أن نمثّل هنا "بيوميات آن فرانك" [26] وهي روايّة تروي أحداث فتاة تُدعى "آن" في الرّابعة عشر من عمرها تعيش رفقة عائلتها وما عانته من السّلطات النازيّة كونها من أصول يهوديّة، وما تحمّلته من عذاب خلال تواجدها بهولندا حتّى تفرّق شمل العائلة وأُحرقت هي وأمّها وأختها في إحدى المحارق الألمانيّة.

**أدب الرّسائل:** وهو كذلك شكل أدبي صغير يلعب دور الوثيقة في كتابة السّيرة الذاتيّة، يتّخذه المبدعون والعلماء كوسيلة للتواصل فيما بينهم، يعتمدها صاحب السّيرة كذريعة لإقناع المتلقي وتعميق درجة الصدق في الحقائق التّي يبثها في نص السّيرة إبعادا لأيّ زيف أو تحريف للحقائق. ونسمّي هذا الجنس الأدبي أيضا بالمراسلات ويرى "فليب لوجون" أنّ لها صلة بالسّيرة الذاتيّة عندما تكون في صور خطابات متتاليّة يكتبها شخص ما لصديق له يصف فيها مراحل حياته المختلفة كرسائل "روسو الأربع" إلى "ماليزرب". [27] وفيما يخص الأدب العربي نجد مثل هذا النوع من المراسلات في رسائل "توفيق الحكيم" إلى صديقه "أندريه" صوّر فيها جانباً من حياته اليوميّة والأدبيّة وما لاقاه من الصّعوبات في سبيل التّكيّف مع المجتمع المصري بعد عودته من باريس أين مكث فيها سنوات لدراسة القانون، وكتب يقول: "كيف السّبيل إلى الخروج عن إطاري القضائي؟ كيف أنشر فناً دون أن أتعرض لسخريّة الزملاء وخيبة أمل الكاتب العام وفجيعة الأهل والخلصاء. آه يا (أندريه) معذرة إني أفكر الآن تفكيراً سخيفاً. هذا كلام غير خليق بفنان، ولكن هل أنا فنان؟ أتراها القميعة السّوداء هي التّي كانت تملأ رأسي بهذه الأوهام، لقد خلعتها كما تعلم منذ زمن بعيد وها أنذا اليوم أتشح بالوسام الأحمر الأخضر". [28] ومثل هذه الرّسائل بمفردها

لا تشكّل سيرة ذاتيّة كاملة للكاتب لأنها خلت من كل ما يتصل بقلبه وعواطفه.

**أدب المذكرات:** يهتمّ به الكاتب بتسجيل أهم الأحداث السّياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة التّي شارك فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، فهو يهتمّ بمن وما حول الذات الكتابي، تقسّم المذكّرات إلى نوعين: المذكرات المألوفة والأقصوصيّة (العامة) والمذكرات اليوميّة (الخاصة)، فالمذكرات العامة يعنى الكاتب فيها بتصوير الأحداث المعاصرة وسيتصرف بوصفه مشاهداً يهتم بما أحيط به أكثر من اهتمامه بنفسه بخلاف السّيرة الذّاتيّة التّي يركز الكاتب فيها على الذّات الفرديّة ولا يهتم بالمحيط الخارجي إلا بقدر تأثير هذا المحيط في حياته. ولعلّ من أبرز الأمثلة حول هذا الجنس الأدبي الصّغير المتفرّع من السّيرة الذّاتيّة نجد مذكّرات الرّئيس الجنوب إفريقي الأسبق "نيلسون منديلا" بمذكّرات تحت عنوان: "حوار مع نفسي" [29] حيث رصدت هذه الشّخصيّة العظيمة والتّي تعدّ من أهم الشّخصيات السّياسيّة في عصرنا وأكثرها إلهاما، بعدما قضى "نيلسون منديلا" عمرا بأكمله وهو يتأبّط الورقة والقلم لتدوين الأفكار والأحداث والمصاعب والانتصارات، ويمنح هذا الكتاب إمكانيّة التّعرّف على الوجه الآخر "لنيلسون مانديلا" من رسائله التّي كتبها في أحلك ساعات الحبس بل سنوات الاحتجاز والاعتقال، وهو يتخبّط وسط زنزانة وسط البحار حيث الأمواج التّي تتلاطم وحيطان السّجن. ويمكن لنا أن نضع جدولا لمعجم المصطلحات العربيّة/الفرنسيّة التّي تفيد في معنى السّيرة:

| الأدب الشّخصي | Littérature personnelle | اليوميات | Autoportrait |
|---|---|---|---|
| الكتابة عن الأنا | Ecriture du moi | اليوميات الخاصة | Le journal intime |
| الكتابة عن الذات | Ecriture du soi | التّخييل الذّاتي | L'autofiction |

| الأشكال السّيريّة | Formes biographiques | الرّحلة | Le récit de voyage |
|---|---|---|---|
| السّيرة الذاتيّة | Autobiographie | المذكرات | Les mémoires |
| الاعترافات | Confession | محكي الحياة | Récit de vie |

**أنواع السّير الذّاتيّة:** قبل أن نشير إلى أنواع الكتابات الخاصة بالسّير الذّاتيّة كان لا بدّ أوّلا من الإشارة إلى القسم الآخر من السّيرة الذّاتيّة أو ما يُقابلها وهي: "السّيرة الغيريّة" وهو ذلك النّوع من السّيرة الذي يدخل ضمن الجنس الأدبي الذي يكتبه بعض الأفراد عن غيرهم من النّاس، سواء أكانوا من الأعلام أم المشاهير الذين عاشوا في الزّمن الماضي أو في الزّمن الحاضر. وفيه يحاول الكاتب الإلمام بمختلف جوانب الحياة للشّخص الذي يكتب عنه، ويفصل في المنجزات التّي حقّقها، والظّروف التّي ساعدته على بلوغ هدفه الأسمى.[30] والمتأمّل في هذا الجنس الأدبي يُدرك أنّها تقوم على مجموعة من الأنواع المتباينة نحصرها كما يأتي:

**السّيرة الذّاتيّة الرّوحيّة:** يعتمد هذا النّوع من السّير الذّاتيّة على تصوير تقلّبات الذّات الكاتبة من حيرة وريب يصلان إلى اليقين في المجالين الدّيني والمذهبي وكذا الفلسفي والعلمي، ويهدف صاحبها إلى استرجاع محطّات حياته الثقافيّة والفكريّة بسلبياتها وإيجابياتها من خلال سائر المواقف والرّدود، ولعلّ من أمثلة السّير الذّاتيّة الرّوحيّة سير كلّ من "الحكيم التّرميذي" و"محمّد بن علي بن الحسن"، و"أبي حامد الغزالي".[31]

**السّيرة الذّاتيّة السّياسيّة:** يحاول الكاتب في هذا النّوع من السّير الذّاتيّة تسجيل الوقائع التّي عايشها أو شارك فيها وكذا المعارك السّياسيّة والحربيّة التّي خاضها، والمناصب التّي تولاها وكذا الشّخصيات السّياسيّة الحاكمة

لجهاز السّلطة في بلده، ولعلّ أبرز سير هذا النّوع من السّير سيرة "الأمير عبد الله بن بلقين".[32]

**السّيرة الذّاتيّة القصصيّة:** يكون هذا النّوع من السّير الذّاتيّة عبارة عن سردٍ نثريٍّ سير ذاتيٍّ يسجّل فيه القاص تجربته الذّاتيّة في القصّة مركّزا على مرحلتين مهمّتين هما النضج والشّهرة، كما يمزج بين الفن القصصي بوصفه قصاصا، وسيقصّ كذلك مرّة أخرى حياته الخاصة للمتلقي بلغة فيها الكثير من الإيقاع والشّعريّة.[33]

**السّيرة الذّاتيّة الرّوائيّة:** وهي نوع آخر من السّير الذّاتيّة يقوم فيها الرّوائي بعرض تجربته الرّوائيّة متعرّضا إلى حكايته بأدقّ التّفاصيل وبطريقة تعتمد على الإقناع سواء كان ذلك بشكل جزئي أم كليّ. ولعلّ من أمثلة هذا النّوع من السّير الذّاتيّة ما كتبته الرّاويّة "فاظمة أيت منصور" في عملها (Histoire de ma vie)[34] أو "قصّة حياتي"، وهي أولى روايّة سيرذاتيّة تكتبها المرأة الجزائريّة وكان ذلك في القرن الماضي، وفيها سردت حياتها منذ صغرها ومعاناتها الشّديدة بسبب الفقر اللّاذع الذي كانت تعيش فيه، ناهيك عن المناخ الصّعب الذي تمتاز به منطقة القبائل خاصة أثناء فصل الشّتاء، كما تتحدّث الرّوايّة أيضا عن المرحلة التّي عاشتها الكاتبة في المعبد مع الأخوات البيض أين تربّت فيه وعانت ظرف اختلاف ثقافتها عن تلك الرّاهبات الأوروبيات واللائي كنّ يحملنّها ما لا طاقة لها به، كنّ يضربنها ويعاملنها بشدّة وقسوة، ولكن رغم ذلك تحدّت الواقع وتعلّمت مختلف العلوم والفنون، وتروي أيضا في أجزاء أخرى من روايتها ويلات الاستعمار الفرنسي بالجزائر والذي تخطّى كلّ الحدود وناقض كلّ العهود.

**السّيرة الذّاتيّة العلميّة التّأليفيّة:** تتحدّث السّيرة العلميّة التّأليفيّة عن النشأة العلميّة والرّحلات الطّويلة في سبيل طلب العلم والمعرفة عبر أصقاع وبقاع

العالم بما في ذلك العلماء الذي صادفوهم والتّقوا بهم خلال رحلاتهم أو حتّى عاصروهم بالإضافة إلى الكتب التّي أطّلعوا عليها أو ألّفوها [35] ولعلّ من أمثلة هذا النّوع من السّير الذّاتيّة: سيرة "أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا"، وسيرة "جلال الدّين السّيوطي" ... أمّا في العصر الحديث فيمكن لنا أن نمثّل بسيرة "الأيّام" لطه حسين وسيرة "حياتي" لأحمد أمين،... أمّا في الجزائر فنمثّل بروايّة (Le fils du pauvre) "ابن الفقير" لمولود فرعون.

ومن خلال ما قدّمناه أعلاه من تعريفات حول "السّيرة الذّاتيّة" يتّضح جليّا أنّه مصطلح يشتمل على وصف طريقة الكتابة كما أنّها ذلك الفنّ الذي يجمع بين الكاتب والقارئ. ونخلص إلى أنّ مصطلح السّيرة يتفرّع إلى مستويات اصطلاحيّة متباينة هي: السّيرة النبويّة والتّي تتعلّق بتاريخ الرّسولﷺ العسكري والغزوات التّي قام بها لنشر دعوته السّمحاء، والسّيرة الشّعبيّة التّي تتحدّث عن أبطال مجّدهم التّاريخ بأوصاف عادة ما تكون خارقة كما تتناول حروبهم وقتالهم، وأخيرا السّيرة الذّاتيّة التّي تتمثّل في نصّ طويل يتناول حياة أحد الأعلام والمشاهير بنوع من التّفصيل والتّدقيق.

## إحالات البحث:

[1] ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرّابع، دار صابر، بيروت، ط3، 1414هـ، ص389.

[2] ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الجزء الأوّل، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1972 ص476.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة سير، ص392.

[4] ينظر: الجرجاني، التّعريفات، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1996، ص378.

[5] الزمخشري، الكشاف عن حقائق وغوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، دار الكتب العربيّة، بيروت، 2008، ص455.

[6] ينظر: ابن هشام، السّيرة النبويّة، تحقيق: طه عبد الرّؤوف سعد، ج1، دار الجيل، بيروت، دت، ص23- 24.

[7] ينظر: محمّد عبد الغني حسن، التّراجم والسّير، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1969، ص36.

[8] عبد المقصود محمّد سالم، أنوار الحق في الصّلاة على سيّد الخلق، دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عين مليلة/ الجزائر، 2006، ص125.

[9] إحسان عباس، فنّ السّيرة، دار الشّروق، عمّان، ط1، 1996، ص14.

[10] المرجع نفسه، ص23.

[11] ينظر: عدنان كريم رجب المفرجي، أدب السّيرة قراءة في إشكاليّة المصطلح، أعمال خاصة بالمؤتمر النّقد الدّولي الخامس عشر، بعنوان: التّراث اللّغوي والأدبي والنّقدي العربي في الآداب العالميّة، 28 29، 30 تموز 2015، دار جرير للنّشر والتّوزيع، ج2، عمّان، ط1، 2016، ص1079.

[12] فاروق خورشيد ومحمود دهني، فنّ الكتابة السّيرة الشّعبيّة (دراسة فنّيّة للسيرة الشّعبيّة)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ط1، ص90- 91.

[13] ينظر: عصام يوسف، الأميرة ذات الهمّة، مكتبة النافذة، القاهرة، ط1، 2013.

[14] المصدر نفسه، ص5- 6.

[15] ينظر: روزلين ليلى قريش، إستراتيجيّة القتال في سيرة بني هلال (نصوص مختارة)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط1، 2009، ص8- 11.

[*] التّغريبة: مصطلح يُطلق أيضا على السّيرة، وهو أمر شائع في سيرة بني هلال، إذ يطلق عليها الكثير من العلماء بتغريبة بني هلال، لأنّ الهلاليين انطلقوا من المشرق صوب المغرب، ونفس التّسميّة تُطلق على "تغريبة أسديوال" أيضا لأنّه دائما ما يتّجه صوب الغرب، ولقد جمع هذه السّيرة الباحث الميداني فرانس بواس ودرسها الأنتروبولوجي الفرنسي "كلود ليفي ستراوس" وتروي عن أحد الأبطال من هنود الحمر وبالتّحديد هنود التّشيسمانيين الذي يسكنون السّاحل الغربي للباسفيك جنوب ألاسكا في إقليم يجري فيه نهرين عظيمين هما ناس وسكينا، ووُلد أسديوال من أم بشريّة وطائر غريب قدم من الأعالي، وكبر وأصبح فتى قويّ الجسد وذكيا يجابه الصراعات حتى صار سيّدا على قبيلته ليتزوّج من نجمة السّماء.

[16] ينظر: روزلين ليلى قريش، إستراتيجيّة القتال في سيرة بني هلال.

[17] ينظر: مجموعة من الدّارسين والباحثين، معجم السّرديات، الرّابطة الدوليّة للناشرين المستقلّين تونس/لبنان/الجزائر/ المغرب/مصر، ط1، 2010، ص257.

[18] ينظر: محمّد صابر عبيد، المغامرة الجماليّة للنّص السّير ذاتي، عالم الكتب الحديث، إربد/الأردن 2010، ص 34.

[19] ينظر: تهاني عبد الفتاح شاكر، السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربي/فدوى طوفان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس أنموذجا، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، عمّان، ط1، 2002، ص44- 49.

[20] ينظر: المرجع نفسه، ص80.

[21] إحسان عباس، فنّ السّيرة، دار الثّقافة، بيروت، ط2، 1996، ص113.

[22] ينظر: مجموعة من الدّارسين والباحثين، معجم السّرديات، 260.

[23] ينظر: نورة بعيو، الرّوايّة السّير- ذاتيّة استنطاق للمسكوت عنه، عدد خاص بأعمال اليوم الدّراسي بعنوان: من السّيرة الذّاتيّة إلى الرّوايّة السّير- ذاتيّة/كتابات آل عمروش أنموذجا، منشورات مخبر تحليل الخطاب، كليّة الآداب واللّغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ص18.

[24] ينظر: عصام العسل، فن كتابة السّيرة الذاتيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2010، ص55- 56.

[25] Voir : Chadli Bendjedid, Mémoires, Tome : 1 (1929-1979),Tr : Mehenna Hamadouche, Ed : Casbah, Alger, 2012.

[26] Anne Frank, Le journal, Traduit du Hollandais par : Caren et Suzanne Lombard, Préface : de Daniel Rops, Ed : Le livre de poche/Calmann-Lévy, Paris, 1979, p16.

[27] ينظر: مجموعة من الدارسين والباحثين، معجم السّرديات، ص311.

[28] المصدر نفسه، ص317.

[29] ينظر: نيلسون مانديلا، حوار مع نفسي، مقدّمة بقلم الرّئيس الأمريكي: باراك أوباما، شركة المطبوعات للتوزيع والنّشر، ط3، بيروت، 2014.

[30] ينظر: عبد اللّطيف الحديدي، فنّ السّيرة بين الذّاتيّة والغيريّة في ضوء النّقد الحديث، دار السّعادة للطّباعة والنّشر، القاهرة، ط1، 1992، ص42.

[31] ينظر: محمّد الداهي، شعريّة السّيرة الذّهنيّة، منشورات فضاءات مستقبليّة، الرّباط، ط1، 2000 ص13- 14.

[32] ينظر: أسامة محمّد البحيري، مقارنات في السّرد العربي، وزارة الثّقافة والإعلام/الانتشار العربي بيروت، ط1، 2012، ص23.

[33] ينظر: نورة بعيو، الرّوايّة السّير- ذاتيّة استنطاق للمسكوت عنه، ص23.

[34] Fadhma Ait Mansour Amrouche, Histoire de ma vie, Ed : Maspero, Paris, 1968.

[35] ينظر: أسامة محمّد البحيري، مقارنات في السّرد العربي، ص216- 217.